بدعة الطّرائق

في

الإسلام

للشيخ المصلح

العربي التبسي

((عضو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين))

قام بصف ونشر الكتاب

أبو عمر الدوسري

www.frqan.com

قال ابن الماجشون: ((سمعت مالكا يقول: من أحدث في هذه الأمة شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لأن الله يقول: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا)). (الاعتصام للشاطبي 1/ 62).

[مقدمة المعتني]

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة.

فهذه مقالات منيرة وصفحات أنيقة، للشيخ المصلح العربي التبسي – أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المبرزين – أبطل فيها ثلاثا من أهم بدع الطرقية وهي:

3- بدعة تحديد الأذكار.

2- بدعة إعطاء العهود للأتباع.

3- وبدعة التصدي للدعوات.

وقد أجاد الشيخ في طريق استدلاله على بدعة الطرائق في الإسلام، وأبان بالبراهين الواضحة منافاتها لما كان عليه هدي السلف الصالح.

وهذه المقالات (ثلاث) نشرت في مجلة الشهاب الجزائرية؟ التي أنشأها رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس رحمه الله (مج 4 عدد 166، 168 و 169 سنة 1347 هـ 9281 م)، فما كان من كاتب هذه السطور إلا جمع ما تناسب وافترق في هذه الرسالة لتكون في متناول العام والخاص.

ثم إني بعد جمعي لهذه المقالات وقفت على مقالة للشيخ بعنوان ((إن كنت حاملا فلدي غلاما)) نشرتها مجلة الشهاب في عددين (مج 4 عدد 77 1 و 78 1 سنة 1347 هـ/92 م) رد فيها على المدعو (ناصر معروف) أحد أنصار الطرقيين الذي كتب مجموعة من المقالات في جريدة البلاغ رد فيها بزعمه على مقالات الشيخ التبسي ((بدعة الطرائق في الإسلام)). ولقد ألحقت هذه المقالة بالمقالات الثلاث تتميما للفائدة.

جعل الله هذا العمل خالصا لوجهه ورحم الله الشيخ العربي التبسي وأدخله فسيح جنانه.

كتبه:

محمد شايب شريف بالجزائر

من سنة 1424 أهـ

ترجمة الشيخ العربي التبسي

ولد العربي بن بلقاسم بن مبارك بن فرحات التبسي بقرية (ايسطح) قرب مدينة تبسة بأقصى الشرق الجزائري سنة 1321 هـ/1895 م. ابتدأ العربي التبسي حفظ القرآن على يد والده، وفي سنة 1324 هـ/ 1907م رحل إلى زاوية ناجي الرحمانية جنوب شرقي مدينة خنشلة بالشرق الجزائري فأتم حفظ القرآن خلال ثلاث سنوات. ثم رحل إلى زاوية مصطفى بن عزوز ب(نفطة) جنوب غرب تونس في سنة 1327 هـ/1910م وفيها أتقن رسم القرآن وتجويده وأخذ مبادئ النحو والصرف والفقه والتوحيد، ثم التحق بجامع الزيتونة بتونس سنة 1331 هـ/ 1914م حيث نال شهادة الأهلية ثم رحل إلى الأزهر بمصر سنة 1339 هـ/ 1920م فمكث فيه إلى غاية سنة 1346 هـ/1927م ثم رجع إلى تونس وحصل على شهادة التطويع (العالمية) بجامع الزيتونة.

عاد إلى الجزائر سنة 1347 هـ/ 1927م فاشتغل بالتعليم العربي الإسلامي في تبسة وغيرها من أرض الجزائر وشارك في الحركة الإصلاحية التي كان يقودها الشيخ عبد الحميد بن باديس بقلمه بما كان ينشر له في الجرائد والمجلات ودروسه التي كان يلقيها في المساجد.

وفي سنة 1355 هـ/ 1935م اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم نائبا لرئيسها الجديد الشيخ البشير الإبراهيمي وذلك سنة1360 هـ/ 1940م. ولما رحل الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1371 هـ/ 1952م تولى الشيخ التبسي رئاسة الجمعية إلى أن توقف نشاطها. وقد سجن الشيخ عدة مرات من طرف الاحتلال الفرنسي لمواقفه الصريحة ضد الاستعمار، وفي 4 رمضان 1376 هـ 4 أبريل 1957م خطفه الفرنسيون من مقر سكناه واغتالوه. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه.

وقد جمع له الدكتور أحمد الرفاعي الشريفي مجموعة مقالاته التي نشرت في بعض المجلات كالشهاب وغيرها تحت عنوان ((مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر)) نشرت في جزئين أحدهما طبع سنة 1402هـ والآخر سنة 1404هـ.

كلمات منيرة للشيخ التبسي – رحمه الله تعالى–

قال رحمه الله في معرض الرد على بعض الطرقيين: ((أما السلفيون الذين نجاهم الله مما كدتم لهم فهم قوم ما أتوا بجديد وأحدثوا تحريفا ولا زعموا لأنفسهم شيئا مما زعمه شيخكم وإنما هم قوم أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر في حدود الكتاب والسنة وما نقمتم منهم إلا أن آمنوا بالله وكفروا بكم)) (المقالات1/115).

وقال: "إن الأمة الجزائرية كغيرها من الأمم الإسلامية، أسباب التأخر فيها لا ترجع إلى عهد قريب وإلى سبب مباشر غير مخالفة الذين الذي بناه رب العزة في أحكم نظام وأمتن أساس)) (المقالات 2/ 41).

وقال رحمه الله: ((لست أعرف ابتداءه تاريخيا (يعني الانحطاط) ولكني أستطيع أن أحدده بظهور آثار التغيير في هذه الأمة، وأزعم أنه يبتدئ من يوم أضاع الناس السنة المحمدية وركنوا إلى بدع الرجال التي صرفتهم عن التربية المحمدية والأخلاق الإسلامية، وظهر في الشعب رؤساء ينسبون إلى الدين، فكان وجودهم سببا في انقسام الوحدة واختلاف الكلمة وذيوع الأهواء، وتحيز جماعات الأمة إلى نزاعات تفت عضد الوحدة المقصودة للدين، حتى أصبح الحب والبغض ليسا في الله كما هي القاعدة، واتخذ الناس رؤساء جهالاً بدعيين يعدونهم من أولياء الله وخواص عباده المقربين عنده، ففتنت بهم جهلة الأمة وأشباه الجهلة، فنصروهم على عماية واتبعوهم على غواية، وصار الدين ألعوبة في يد هؤلاء الرؤساء وأتباعهم)) (المقالات 2/ 34).

ومما قاله في خصوص فهم السلف الصالح:
((بهذا الأصل صار الذين لا يمكن أن يؤخذ بحكم العوائد والمحاكاة، ولا تعلمه من الجاهلين، وإنما يؤخذ حقا تعلما عن أهل العلم الحقيقيين الذين يستمدون فهو مهم من عناصر الدين الأولية التي هي الكتاب والسنة على مقتضى فهوم الأولين من علماء الإسلام الذين إذا تكلموا على العقائد بينوها وبينوا مآخذها وأدلتها، وشرحوا ما أذن لهم شرحه وتوقفوا فيما لا مجال للعمل فيه أو ردوه إلى ما وضح معناه وظهر مغزاه)) (المقالات 2/ 27).
ومما قاله وهو يتألم لحال الأمة المزري: ((بكائي على الإسلام ومبادئه ونحيبي على وحدة الدين

الذي أضاعه بنوه، الذي أمر بالجماعة وحث عليها بل وجعل المنشق عنها في فرقة من الدين وعزلة عن الإسلام وعداء لأهله. والذي فلق الحب وبرأ النسمة لو أن امرءاً مسلما مات أسفا وحزنا على حالة هذه الأمة؛ لكان له عند الله العذر. أيطيب لنا عيش مع هذه الحالة؟....)) (المقالات 1/ 61).

وقال يوما مخاطبا أعضاء جمعية العلماء المسلمين: ((فلتكن الأخوة رائدنا، وليكن الإخلاص رابطنا، ولتكن النزاهة شعارنا، وليكن نكران الذات القاسم المشترك الأعظم بيننا. إنه لا يمكن إرضاء الإسلام والوطن، وإرضاء الزوج والأبناء في وقت واحد، إنه لا يمكن لإنسان أن يؤدي واجبه التام إلا بالتضحية، فلننس من ماضي الآباء والأجداد كل ما يدعو إلى الفتور وإلى الموت، ولنأخذ من ماضيهم كل ما هو مدعاة قوة واتحاد)) (المقالات 1/ 202).

مصادر الترجمة:

((أعلام الإصلاح في الجزائر)) لعلي دبوز 1/ 27، 2/ 15.

((معجم أعلام الجزائر)) لعادل نويهض ص ا 6.

((مقالات في الدعوة)) للشيخ التبسي جمع أحمد الرفاعي.

بدعة الطرائق في الإسلام

للشيخ المصلح
العربي التبسي رحمه الله

جمع وإعداد
محمد شايب شريف

المقدمة

شاء الله أن أهبط بلدة خنشلة [1] في صيف هذا العام، وشاء أن أتخذها محل إقامة خمسا وعشرين ليلة، وقدر لي أن اجتمعت أثناء هذه الليالي بأقوام يمثلون أغلب طبقاتها واستطلعت آراء عقلائها ومفكريها في حالتنا الدينية وما أصابها من تدهور، وكانت نتيجة البحث مع العقلاء الذين حفظهم الله من بدعة الطرقيين استحسان الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه سلف الأمة وإلى ترك ما أحدثه المحدثون. وهذه الظاهرة الدينية من أفهم الأدلة على أن أمتنا سدد الله خطى علمائها والعاملين لخير مفتها من الأمم التي أشربت حث دينها المحفوظ. وكنت أفضي إلى من أجتمع به بما يتطلبه منا دين لا ببوية [2] ولا قساوسة ولا رهبان ولا كهنوتية [3] فيه، وأجد من فضلائها وأهل الروية والثقافة العلمية بتلك البلدة الإسلامية رجالا يقدرون الدين حق قدره ويعلمون أنه دين رب العالمين، لا صنع رجال يصرفونه كيف شاؤوا وشاءت مآربهم [4] . وقد منيت دعوة رجال الإصلاح الديني كما في كل مبدأ صحيح قبلها بأقوام يناهضون الحق بسلاح الأوهام ويعادون أهله، لا لأنهم شاقوا معصوما أو حاربوا صحيحا بل لأنهم سفهوا عوائد وطرحوا مألوفا تبين أنه لم يأت من طريق التوفيق.

وفي بلدة خنشلة لسانان من ألسنة فلول الطرائق وخزائن الأخبار المحرفة والأقاويل المضطربة- وقد حدثت عن هذين الأخوين في النسب والجهل بما يأتيان به من تنفير الناس من دعوة المصلحين والتقول عليهم بما يذكر بالقصص الإسرائيلي، فحاولت أن أجتمع بهما اجتماعا يمكنني من مفاوضتهما فجمع الله بيننا أمام قهوة عربية فجاذبتهما الحديث في شؤون، منها إعطاء العهود الموجودة بيننا من رؤساء الطرائق وتحديد الأذكار للأمة على هذا الوجه بدعة لا يعرفها السلف ولا يقبلها الشرع فزعما أن هذه العهود وما لف لفها قد نقلت عن الحسن البصري، فأجبتهما بأن من نقل هذا عنه أراه قد كذب عليه.

ومسألة كمسألة العهود وتحديد الأذكار ووضع الطرائق للأمم ليس بسر من الأسرار حتى يمتاز بها الحسن، ومحال أن يفعل شيئا لم يتلقه عمن قبله ولو فعله من قبله- والمسألة لها خطرها-

---

[1] إحدى مدن الشرق الجزائري.

[2] نسبة إلى البابا الرئيس الديني للكنيسة.

[3] نسبة إلى الكهنوت الذي هو وظيفة الكاهن ورتبته، ورجال الكهنوت هم رجال الدين عند اليهود والنصارى.

[4] حاجاتهم.

لنقلت شائعة ذائعة كما هي الآن وهذه الكتب الصحاح التي غيرت رجالها وفحصت أخبارها لا يوجد فيها ما يصلح أن يكون دليلا أو شبه دليل.

فلما سدت في وجوههما مناهج التضليل انقلبا إلى السباب والفضاضة والفحش والإذاية، فأعرضت عنهما ومررت بكلامهما مر الكرام ووعدت الحاضرين بالكتابة في بدعة الطرائق في الإسلام وها أنا موفي بوعدي مقدم لأمتي ما أراه مناسبا للإذاعة في مجلة دينية ضيقة لها من الأعمال ما لو أصبحت يومية ما وسعتها، وأنا أعلم أن فريقا آخر من دخلاء العلم سيتلقون كلامي هذا ساخطين عليه مزورين عنه وأن فريقا آخر من حملة الهداية الصحيحة سيلقونه راضين عنه.

وأنا على غضب أولئك وبرد هؤلاء سوف أذيع ما أراه حقا لا إجابة لهوى كمين في النفس ولا قضاء لشهوة من الشهوات ولا رغبة في الانتقام من فريق ولا حبا في تخطئة أناس أمر الله أن نقول في حقنا وحقهم: (**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ**)[1] ، وإنما الذين يأمرنا أن ندفع عنه ما ليس منه والرجوع إلى حق تبين، أحسن من متابعة أناس في أمر تبين خطوه. وقبل الشروع في المقصود ندلي بمقدمة نجعلها تمهيدا لما إليه قصدنا وعلى الله– المنفرد بالتشريع على لسان خير شفيع– اتكالي وهو حسبي ونعم الوكيل.

([1]) سورة الحشر آية 10.

التمهيد

الأدلة التي تثبت بها الأحكام والأخلاق الدينية الكتاب إجماعا والسنة الصحيحة كذلك، والسنة أقواله وأفعاله وإقراره وشمائله،صلى الله عليه وسلم، والإجماع بشروطه ومنها [1] أن يكون له مستند والقياس بشروطه ومنها [2] أن يكون حكم الأصل المقيس عليه منصوصا ومنها أن لا يكون الفرع معارضا بنص.

إذا تقرر هذا جزمت بأن العمدة في دين الله الكتاب والسنة ليس غير. أما الإجماع فقد عاد إليهما [3] باشتراط المستند، غايته رفع الاحتمالات والأنظار عن دليله. وأما القياس فلا يصار إليه إلا عند الضرورة وهي عدم النص من كتاب أو سنة فإن وجد النص منهما أو من أحدهما كان القياس فاسد الاعتبار. وإذا تم القياس فقد قال القائلون به إنه يتضمن دليل المقيس عليه المنصوص بالكتاب أو السنة اللذين هما مصداق قوله تعالى: (**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا**) [4] ، وهي من آخر ما أنزل من القرآن [5] .

ومما لا نزاع فيه عند أهل السنة أن العقل أو العادة أو الشهوة لا حكم لها في دين الله المعصوم، وإنما العقل آلة خلقها الله ندرك بها ولا حجة بحكمه إلا في أصول الدين (الاعتقادات). ومن المقرر: إن كنت ناقلا فالصحة وإن كنت مدعيا فالدليل، وأن غير المعصوم محكوم بهذه القاعدة بلغت ما بلغت مكانته أو علمه أو إصلاحه.

ومن المدون في علمي العقائد والسنن أن رد النصوص استهزاء بها أو إيثارا لغيرها عليها كفر، ومن المذكور في علمي الفروع والخلافيات أن ترك السنن وتقليد الرجال بدعة وضلالة. ومن المدون أيضا أن السلف في القرون الثلاثة كانوا يقتدون بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن المذاهب الإسلامية المعتبرة كانوا يتبعون الوارد وخلافهم في مسائلهم تابع لما بأيديهم من السنن والآثار، وإذا ثبت الحديث فهو مذهب الجميع. وأنه لا يعلم إمام يعرض عن سنة تبينت

---

(1) أي: من شروط صحة الإجماع.

(2) أي: من شروط صحة القياس.

(3) أي: الكتاب والسنة.

(4) سورة المائدة آية 3.

(5) نزلت بعرفة يوم حجة الوداع وقد أتى المؤلف بمن التبعيضية وذلك لأن هذه الآية من جملة أخريات القرآن، فآية الربا والدين والكلالة نزلت بعدها.

اتكالا على أن صالحا أو عالما خالفها، فإن أقل ما يقتضي ذلك الفسوق. جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

وبما أن حزب [1] الإصلاح الديني ليست له غاية شخصية ينشدها ويترامى من ورائها وإنما غايته وهمه في هذه الحياة؛ المحافظة على الدين محافظة ترضي صاحب هذه المهة وتحذو حذو السلف الصالح، فإني أقبل كل من يبين لي فساد ما ذهب إليه وأغده أخا لي ناصحا وأذكره بقول من قال: ((رحم الله امرءاً أهدى إلينا عيوبنا)) [2] على شريطة أن يرد علي من جنس الأدلة التي تعتمد ولا يفعل كما فعل بعض المروجين للبضاعة من الاستدلال بأقاويل الرجال، فإن من رام الاعتماد على غلطات الرجال لم يعدم دليلا لأي شنعة. وإنما الأدلة التي أخضع إليها وأهتدي بها هي التي تأتي من عصور الحجة، وإذا جاءني بكلام لا يعرف له وجها عند أرباب الصناعة بالأخبار والآثار فإني أعد كلامه ساقطا عن أمم [3] لا يحتاج إلى الرد. وبعون الله سأجعل كل لحمة من لحم الطرائق التي اشتهرت وذاعت بيننا منفردة ببحث وأقيسها بعصر السلف فإن وجد لها أصل بينهم قبلناها وعملنا بها وعززناها وما لم نجد له أصلا في أيامهم ولا عرفا فيما بينهم اعتقدنا أنها بدعة محدثة مشمولة لقوله صلى الله عليه وسلم: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) [4] فلترد. ومن نصرها كان له من الوزر مثل أوزار من أحدثها، وكان في أمره متبعا غير سبيل المؤمنين وآخذا بغير هدي محمد صلى الله عليه وسلم وليس بعد هدي محمد صلى الله عليه وسلم إلا الضلال.

---

(1) استعمل كلمة الحزب بمعناها اللغوي وهو: الجماعة من الناس، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم فهم حزب وإن لم يلق بعضهم بعضا.

(2) هذا القول يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(3) القصد والطريق البين.

(4) البخاري 2697 ومسلم 1718 من حديث عائشة.

بدعة تحديد الأذكار لأتباعهم

من البين لجميع من عرف الطرائق التي غضت بها الجزائر؛ أنها اشتركت في أمور وامتازت كل واحدة بخواص تجعلها منفصلة عن البقية تستحق بها اسم: طريقة فلان. وقد وضعوا طرائقهم كالشرع الموضوع المتبع، وبنوا هذه الأذكار على أوضاع وهيآت وألحقوا بها أدعية أحدثها من أسس الطريقة.

ومن الشائع الذائع: أن هذه الأذكار يعطيها رؤساء الطرائق أو من يقيمونه ويسمى بأخذ الورد أو رفع السبحة ويعينون أعدادها وصيغها وأوقاتها وما يرتئونه من آدابها. ونحن نعرض عملهم هذا ونقيسه بالهدي النبوي وعمل السلف فذلك الدين، وما لم يعرف في هذه الأيام بعموم أو خصوص فليس من الدين. وما دام ليس من الدين فإنكاره قربة والاعتراف به بدعة.

إن استقراء الشريعة دل على أن ما تعبدنا الله به جاء على ضربين:

ضرب تولى الله تعيينه في نفسه وفي عدده وفي وقته، كالصلوات الخمس في الفرائض وكركعتي الفجر في النوافل وكرمضان في صوم الفرض وعرفة في النفل.

وضرب آخر طلبه منا طلبا وأوكل تعيين عدده ووقته إلى قوة المكلف وما جعل عليه مسيطرا ولا وكيلا وله في نفسه أن يعين ما شاء في أي وقت شاء على ما تعطيه القوة البشرية. والأذكار في غالب أمرها من هذا القبيل وما سد عن هذا غير قليل كسبحان الله والحمد لله والله أكبر دبر كل صلاة تولى الشرع تحديده [1] .

والأذكار ورد الأمر بها في كتاب الله في غير ما آية قال الله: (**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**) [2] ، وقال: (**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**) [3] ، وقال: (**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ**) [4]
الآية، وقال: (**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ**) [5] الآية. والآيات كثيرة ولا يوجد في العبادات إذا

---

(1) مثال ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة، وحمد الله ثلاثا وثلاثين مرة، وكبر الله ثلاثا وثلاثين مرة فتلك تسع وتسعون، وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر)).

(2) [العنكبوت: 45].

(3) [البقرة:152].

(4) [الصافات:143].

(5) [الأنبياء: 20].

تتبعت الأدلة المبثوثة في الشريعة أكثر من الذكر طلبا وورد الأمر بها ستة. أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)) [1] ، وأخرج مسلم عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأن الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن– أو:– تملأ ما بين السموات والأرض)) [2] ، وأخرج البخاري عن أبي موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت)) [3] .

وقد بوب رجال الصحاح للدعوات والأذكار أبوابا وفصولا جمعوا فيها ما ثبت عن رسول الله من الأذكار والدعوات وما دار بها ما لا مطمع لي في تسطيره. وقد اعتنت الأئمة الأثبات عناية فوق هذه وألفوا كتبا صحاحا في عمل اليوم والليلة رووا فيها ما ثبت من الأذكار والأدعية بأسانيدهم. فمن هذه الكتب عمل اليوم والليلة للإمام أبي عبد الرحمن النسائي وكتاب الإمام أبي بكر أحمد بن محمد بن إسحق السني وكتاب الإمام النووي وغيرها مما هو معروف، وقد أتوا على حالات الإنسان وتاراته [4] اليومية والليلية وساقوا ما فيها من أحاديث وآثار، فمنها ما رغب الشرع في عدد منها طلبا للكثرة ومنها ما طلبه طلبا مطلقا موكولا لقوة الذاكر يزن نفسه ثم يثبت ما يستطيع أن يداوم عليه. وما علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة عمره حدد الأذكار لأحد من أصحابه تحديدا يماثل تحديد الطرقيين على اختلاف أسمائهم. ولا تقل عن أحد من السلف أنه حدد الأذكار لغيره ممن عاصره فضلا عن أن يجعله ذكرا شائعا ذائعا يعرف بذكره طريقة فلان. ومن ادعى غير هذا فليدلنا عليه من طريق صحيح عند أهل العلم. ونحن نعتقد أن الذكر كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتول تحديده ولا توقيته. وكل من تعرض لتحديده أو توقيته أو إدخال أي زيادة كيفما كان شأنها فيه عما كان في عصره؛ يعد مبتدعا مستدركا على الشريعة.

ونحن نعتقد أن السلف رضي الله عنهم لما لم ينقل عنهم تحديد ولا توقيت وهم أهل الدين صدقا

---

(1) البخاري 7563 ومسلم 2694.

(2) مسلم حديث رقم 223.

(3) البخاري رقم 6407.

(4) جمع تارة: الحين.

وأصحاب الذكر حقا دل على أنهم فهموا من الشرع عدم التحديد والتوقيت. ولن يستطيع آخر الأمة أن يأتي بهداية لم يأت بها أولها.

ونحن نجزم بأن السنة في فعله صلى الله عليه وسلم وقد ترك التحديد وأن الخير في اتباع من سلف وقد تركوا التحديد والتوقيت، فالبدعة والشر في التحديد والتوقيت، وهو ما لم تتركه طريقة من الطرائق، ولنورد شيئا من كلام المحققين يخدم هذا الغرض.

قال أبو إسحاق الشاطبي في مآخذ البدع وأهلها في الاستدلالات على ما انتحلوا: ((ومنها تحريف الأدلة (وقد علمت أن منها لفظه وعمله صلى الله عليه وسلم) [1] عن مواضعها بأن يرد الدليل على مناط فيصرف عن ذلك المناط إلى آخر (كذكر الله) موهما أن المناطين واحد وهو من خيبات تحريف الكلم عن مواضعه)) [2] . إلى أن قال: ((وبيان ذلك: أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمرا في الجملة مما يتعلق بالعبادات فأتى به المكلف في الجملة أيضا كذكر الله والدعاء والنوافل المستحبات مما يعلم فيه التوسعة شرعا كان الدليل عاضدا لعمله من جهتين، من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف به. فإن أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مقارن لعبادة مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلا أن الكيفية المخصوصة أو الزمان أو المكان مقصود من غير أن يدل الدليل عليه كان بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه. فإذا ا ندب الشرع مثلا إلى ذكر الله، فالتزم قوم الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت أو في وقت معلوم مخصوص من سائر الأوقات، لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص بل فيه ما يدل على خلافه)) [3] . أهـ ثم حكم ببدعية ما كان على هذا الوصف، وما ذكره يجري في تحديد الأذكار للأتباع وتزيد عليه بما انجر للعوام من هذه البدعة الفظيعة، فقد أصبح بعض أسماء الله من ميزة طريقة فلان فمن لم يأخذ عهده ووروده لا يحوم حول ذلك الاسم، وأي شر بقي بعد هذا وأقي إلحاد في أسماء الله شر من هذا وتزيد عليه أيضا بقلب معالم الإسلام ظهرا لبطن.

فقد كان من مبادئ الإسلام الأولية أن المسلم يتلقى الأحكام من ينبوعها؛ وهو ما جاء به الرسول من غير استئذان أحد ولا واسطة أحد، فصير شيوخ الطرائق الذكر يتوقف على إذنهم

---

(1) ما بين القوسين من كلام الشيخ العربي التبسي.

(2) راجع كتاب الإعتصام للشاطبي(2/ 59 طبعة مشهور).

(3) الاعتصام2/ 60.

وتابع لميولهم وأهوائهم. ولعل زاعما يتوهم أن هذا التحديد والتوقيت لا يضر، وقد قصد واضعوه الخير فنقول: أخطأ الواهم في وهمه فإن السلف الذين شاهدوا عصر النبوة لما وقع بين أيديهم شيء أقل من هذا ولا يشاركه في غير أن الرسول لم يفعله أنكروه وعدوه ضلالة.

ولا بأس بنقل شيء من آثارهم يستدل به على ما نقول. من ذلك ما نقله أبو إسحاق الشاطبي [1] عن ابن وضاح عن الأعمش عن بعض أصحابه قال: مر عبد الله (يعني ابن مسعود) برجل يقص على أصحابه وهو يقول: سبحوا عشرا وهللوا عشرا، فقال عبد الله: إنكم لأهدى من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أو أضل؟ بل هذه يعني أضل وفي رواية عنه: أن رجلا كان يجمع الناس فيقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله، قال: فيقول القوم ويقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله، قال: فيقول القوم قال: فمر بهم عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: فديتم لما لم يهتد له نبتكم أو إنكم لتمسكون بذنب ضلاله.

وذكر له أيضا أن أناسا يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل منهم كوما من حصى قال فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد ويقول لقد أحدثتم بدعة وظلما وقد فضلتم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علما [2] .

فتفهم رحمك الله رأي الصحابة فيمن خالف ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم كيف ضللوه وأنكروا ما أتى به ولم يعذروه ولا تأولوا له وجها ولا نقبوا له عن نية، بل مخالفته كفتهم دلالة على إنكار ما أحدث. وتأملوا يا أولي الألباب ويا رجال العلم فيما أحدثه أشياخ الطرائق فإنهم يحدثوننا بأن حكما وأسرارا أخفيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى سلف الأمة أدركها هؤلاء المستدركون وأن فضائل وخواص في أعداد لم يهد لها نبي الرحمة وهدي إليها هؤلاء الأقوام الذين تجارت بهم أهواؤهم إلى أبعد مدى.

---

[1] في الاعتصام2/ 323- 324.

[2] أثر ابن مسعود عند ابن وضاح في ذم البدعة رقم 17، 19، 20 وعبد الرزاق في المصنف 5408 و 5409، والطبراني في الكبير 8629، 8630و 8633 وأبي نعيم في الحلية 4/ 380- 381 والدارمي في سننه رقم 210، والأثر صحيح بمجموع طرقه.

بدعه إعطائهم العهود للأتباع

لست أعلم شبهة شرعية ولا مصلحة دنيوية قضت بها تصرفات الملة تبزر ما أحدثه أشياخ الطرائق؛ من إعطائهم هذه العهود التي فرضوها على الأمة، ومن عقدهم هذه البيعات العامة الشاملة للذكور والإناث، عقدا تغلغل في نفوسهم؛ فحرسوها بكل ما أوتوا من قوة، حتى إن الرمان ودوراته لم يستطع أن يغالبها ولا أن يقفل من أمرها شيئا، بل ما ازدادت الأيام تأخرا. والعلم ضعفا والدين غربة إلا زادت صولة وقويت شوكة، مغايرة لكل سبب من أسباب الدين والعمران، ومتميزة عن كل ما جاء به صاحب الملة، ولو كانت خيرا لقلت كالخير كله [1] .

وإذ كان الخير منها بعيدا والشر منها قريبا بقيت حية يستطير شرها استطارة النار كلما زادت الأمة جهلا بدينها. ويا ليت شعرى من أي نافذة من نوافذ الدين وأي باب من أبوابه خرجت إلينا هذه البيعة الشيعية؟ التي أنزلها شيوخ الطرائق من دين) لأمة منزلة جواز السفر للنازحين من أوطانهم. وطالما فكرت في أمرها وبحثت عن مآخذ أهلها، وسند أربابها، والآخذين بها، والذائدين [2] عن حياضها، فما وقعت عيناي على شيء غير وساوس يعتمدها هؤلاء الناس الذين شرعوا لنا بيعة على طاعتهم وتقليدهم بعد رسول الله،صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار وتابعيهم بإحسان. فإن قام في نفسي أن هؤلاء الرهاط الذين يعطون العهود ويعقدون البيعات مستندون إلى بيعات صدرت منه صلى الله عليه وسلم في أحوال ولمقتضيات مختلفة لأقوام، صدني عما قام في نفسي أن هذا النوع من الاستدلال لا يتم إلا بجعل إحدى مقدماته الهوى. والطرقيون يأبون علينا هذا حتى رأيت بعض المتكلفين الذي رماني سوء البخت [3] بمقاولتهم [4] ، فيا له ويا للمسلمين ويا للعلم من هؤلاء العلماء الزائفين، ومن أوهامهم وعظائمهم واغترار الناس بهم.

أي شبه وأي مناسبة بين بيعات فعلها رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم بوحي إلهي لأمور رآها ليس شيء منها يصلح أن يكون دليلا ولا شبه دليل وبيعات الطرقيين؟؟ ولو أجهدت

---

(1) أي كما قل الخير كله.

(2) جمع ذائد: الحامي.

(3) البخت: الحظ.

(4) المقاولة: المناظرة في قضية ما.

نفسك ونقبت مسالك العلل والاستنباط لم تستطع أن تأتي بجامع بين بيعاته صلى الله عليه وسلم وبيعاتهم- عفا الله عنهم ورزقهم توبة تذهب عنهم الابتداع الذي مسخهم. فبيعاته صلى الله عليه وسلم كانت إما لأقوام حديثي عهد بكفر يبايعهم على التزام تكاليف الإسلام ويعاهدونه على أن لا يرجعوا إلى سابقهم المظلم، يأخذ عنهم العهد رجالا ونساء كما وقع يوم فتح مكة. وإما لمصلحة حربية كبيعة الرضوان. وأشياخ الطرائق يبايعون أمة إسلامية لا عهد لها بشرك، وبيعاتهم على أمور لم يبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من صحابته عليها وما فهم الصحابة من بيعاته ما فهمه أشياخ الطرائق من مبايعة الأمة على أمر جعل الله أمرها في سعة. فمضت أيام الصحابة وأيام تابعيهم بإحسان على ذلك، ومنهم من كان. يقتدي به حتى في الأمور العملية كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فإنه كان يوقف ناقته أين أوقف رسول الله ناقته. وما حدثنا مؤرخ ولا قص علينا أثري ولا حدثنا محدث بأن السلف كانوا يعطون العهود ويلقنون الأتباع، وكيف يفعلون عبادة من تلقاء أنفسهم.

وقد تاه بعض المتكلفين فزعم أن القوم من الصحابة والتابعين إنما أهملوا أمر البيعة حذرا أن يتهموا في أمر الإمامة الكبرى، وذهب مع الأغلوطات إلى أقصى غاية، وغفل عن مكانة القوم من الصحابة والتابعين الدينية وقاسهم على نفسه وفساد مذهبه، ووزن السلف- كذبا- بحالته. وما درى المسكين أن أمور الدين فوق الأعاليل. أضف إلى ذلك أن منهم من لا يهتم بهذه الخلافة وهم كثرة مطلقة، والخلفاء أنفسهم الذين استقر لهم الأمر لم يعطوا هذه العهود الفاسدة ولا أوصوا بها طول عمرهم أحدا.

ولعمري إن من يزعم هذا الزعم لهو راميهم بما لا يناسب ما هم عليه من العدالة والدين الكامل، والمحافظة عليه، وإنكارهم على من خالف شيئا ثبت عنه صلى الله عليه وسلم وإن كان خليفة أمر بذلك لملئت به صحائف المحدثين. وحكاياتهم مع معاوية رضي الله عن الجميع (في الماوزياد) [1] وفي بعض تصرفاته حتى قال له أبو الدرداء: ((لا أساكنك بأرض الشام))، أكبر مفند لهذه الدعاوي الباطلة.

والصوفية [2] الذين شهد لهم أهل العلم بالاستقامة إنما بنوا طريقتهم على التأسي به صلى الله

---

[1] كذا في المطبوع.

[2] المراد بالتصوف هنا الزهد والتعبد على وفق ما جاءت به الشريعة غير أن استعمال هذه الكلمة بهذا المعنى لا يخلوا من نظر وقد وقفت على كلام نفيس للشيخ البشير الإبراهيمي رحمه الله له صلة بما نحن فيه، ذكره في ثنايا ردّه على

عليه وسلم في جميع أمورهم. وليس في السنة ما يدل على مشروعية هذه العهود الجارية بيننا. فمن أدخلها أو نسبها إليهم ككل هذه الشرور التي يتقلب فيها أبناء الزوايا وأذنابهم، فقد جنى عليهم رضي الله عنهم شر جناية وأدخل في طريقتهم ما تبرأوا منه من الابتداع منذ نشأتهم.

وإن ثبت عن أهل العدالة منهم شيء يخالف السنة فليظن بهم خيرا وأنهم اجتهدوا وأخطأوا، ولا إثم على من اجتهد مخلصا في نيته وإن أخطأ، وإنما الإثم والابتداع وكل الشر في اعتقاد أنهم لا يخطؤون، أو السير وراءهم في خطئهم.

وليعلم شيوخ الطرائق وذيولهم، أنه لو شاهد أئمة الدين هذه العهود التي اتخذها أشياخ الطرائق حبالة [1] شيعية لتضليل الأمة وغلا ثقيلا يضعونه في أعناق أمة إسلامية جاهلة حتى رقوا منهم هذا المرقى الصعب؛ لكان لهم على الطرقيين وأتباعهم وبدعهم وضلالاتهم مواقف

الطرقيين.

قال عليه رحمة الله: ((... ونحن نعلم من طريق التاريخ لا من طريق الشهرة العامة أن بعض أصحاب هذه الأسماء الدائرة في عالم التصوف والطرق (أمثال الجنيد، القشيري، المحاسبي) كانوا على استقامة شرعية وعمل بالسنة ووقوف عند حدود الله. فهم صالحون بالمعنى الشرعي، ولكن الصلاح لم يأتهم من التصوف أو الطرق وإنما هو نتيجة التدين. وفي مثل هؤلاء الصالحين الشرعيين إنما نختلف في الأسماء فنحن نسميهم صالحي المؤمنين وهم يسمونهم صوفية وأصحاب طرق، فيا ويلهم إن طريقة الإسلام واحدة فما حاجة المسلمين إلى طرق كثيرة.

ما هذا التصوف الذي لا عهد للإسلام الفطري النقي به. إننا لا نقره مظهراً من مظاهر الدين أو مرتبة عليا من مراتبه. ولا تعترف من أسماء هذه المراتب إلا بما في القاموس الديني: النبوة والصديقية والصحية والاتّباع، ثم التقوى التي يتفاضل بها المؤمنون ثم الولاية التي هي أثر التقوى، وإن كنا نقره فلسفة روحانية جاءتنا من غير طريق الدين ونرغمها على الخضوع للتحليل الديني.

وهل ضاقت بنا الألفاظ الدينية ذات المفهوم الواضح والدّقة العجيبة في تحديد المعاني حتى نستعير من جرامقة اليونان أو جرامقة الفرس هذه اللفظة المبهمة الغامضة التي يتسع معناها لكل خير وشر.

ويمينا لو كان للمسلمين يوم اتسعت الفتوحات وتكونت (المعامل) الفكرية ببغداد ديوان تفتيش في العواصم ودروب الروم ومنافذ العراق العجمي لكانت هذه الكلمة من المواد الأولية المحرمة الدخول.. فقد أصبحت هذه الكلمة التي غفلوا عنها أُمّا ولوداً تلد البر والفاجر ثم تمادى بها الزمن فأصبحت قلعة محصنة تؤوي كل فاسق وكل زنديق وكل ممخرق وكل داعر وكل ساحر وكل لص وكل أفاك أثيم. وانظر طبقات الشعراني الكبرى وما طبع على غرارها من الكتب تجد أصناف المحتمين بهذه القلعة- وهم ببركة حمايتها- طلقاء من قيود الشريعة.

وإن هذه القلعة لهي المعقل الأسمى والملاذ الأحمى لأصحابنا اليوم فكل راقص صوفي، وكل ضارب بالطبل صوفي وكل عابث بأحكام الله صوفي، وكل ماجن خليع صوفي وكل آكل للدنيا بالدين صوفي، وكل ملحد في آيات الله صوفي، وهلم سحباً)). أهـ (سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ص30- 31).

[1] الحبالة: المصيدة.

مشهودة، وحملات شديدة تدع أشياخ الطرائق وصنائعهم عبرة للمعتبرين.

وها أنا وقفت بك أيها المسلم المحب لدينه المتبع لنبيه صلى الله عليه وسلم أن عهود أشياخ الطرائق ضلالة محدثة لم يفعلها صاحب الملة ولا سلف الأمة.

وكأني بجاهل يطعن في هذا الكلام بأن حاصله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأئمة الاجتهاد تركوا هذه العهود ولم تعرف في أيامهم وحاصل ذلك ترك منهم والترك لا يوجب حكما في المتروك ومن أحدثها رام منها فوائد دينية إلى غير ذلك مما يقوله دخلاء العلم. وقد سمعت ما يشبه هذه الجهالات من الأخوين الدجالين الذين جمعني بهما سوء البخت وموت العلم في هذه البلاد [1] حتى طمع فيها كل جاهل رمت به الجماعة إلى خنشلة المسكينة ليروج الأكاذيب ويتقول على الناس بما يعلم هو قتل سواه أنه كذب دعاه إليه ملء بطنه– إن طعن في هذا الكلام بهذا الطعن [2] ، قلنا: إن ترك صاحب الملة وسلف الأمة لأمر من الأمور على وجهين:

الأول: أن لا يوجد سببه ولا ينزل بالأمة ما يدعو له ولا إلى التكلم فيه، فهذا السكوت عنه لا يوجب حكما معينا في المتروك، دليله قائم في عمومات الشريعة اللفظية أو المعنوية.

والوجه الثاني: أن يوجد سببه وتتوفر علله ويترك العمل به منه صلى الله عليه وسلم أو من سلف الأمة، فالترك في مثل هذا كالنص اللفظي المحتم على أنه لا عمل فيه وأن الترك هو حكم الله. مثلا الذكر أو العهود أسبابها قائمة والداعي إليها موجود ورسول الله صلى الله عليه وسلم ترك تحديد الأذكار والعهود. الأمر الذي ينشده أشياخ الطرائق عند حسن الظن بهم فيها موجود، والسلف تركوها وقد ظهر في أيامهم ممن لم يخالط بشاشة الإيمان قلبه ما ظهر من الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه وغيرها، فما أعطوا هذه العهود ولا سمع بها في أيامهم وذلك دليل قاطع على أن العهود الطرقية لا يعرفونها، وأنه لا زيادة في الأذكار والهداية الإسلامية على ما كان عليه سلف الأمة. وإذا ذكرت أيها القارئ أن العبادات في أمنع مكان عن الأقيسة الواهية والاستحسانات، فقل إلى أشياخ الطرائق: (**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ**

---

(1) أي: مدينة خنشلة.

(2) وهو قوله: ((إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وأئمة الاجتهاد تركوا هذه العهود ولم تعرف في أيامهم وحاصل ذلك ترك منهم والترك لا يوجب حكما في المتروك ومن أحدثها رام منها فوائد دينية)).

فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [1] .

([1])[النور: 63].

بدعة تصديهم للدعوات

إن من علم قليلا من مبادئ الأديان، يعلم أن أشياخ الطرائق لم تتسرب إليهم هذه العقلية إلا من أمة أجنبية عن الإسلام، لرؤسائها هذه الزعامة التي تؤهل صاحبها لهذه السلطة الواسعة النفوذ في عالم الغيب الدنيوي والأخروي، فاقتبسها أشياخ الطرائق من بعض من دمس نفسه في هذه الأمة التي قطعت نظرها عن هدي سلفها، فتخبطت في حمأة الجهالات ووجد كل دخيل يريد الشر بالإسلام بابا مفتحا يلج منه إلى الفتك بالملة وأهلها.

خدع أشياخ الطرائق بهذه الرئاسة المبتدعة- رئاسة تصديهم للدعوات- فأدخلوها إلى دين الإسلام، ذلك الدين الذي لا يعرف ولا يبيح لمخلوق أن يضع نفسه في هذا الموضع المملوء بالشوك والريب في الدين. ومن تأهل لهذه الدعوات فدين الإسلام- الذي أمر فيه نبيه بأن يخاطب الإنسانية على تباين أجناسها واختلاف لغاتها وتباعد أزمانها، بأنه لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله، وأنه لا يغني أحد عن أحد شيئا (1) ، وأن الأعمال بالخواتيم (2) ، وأن الزجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه (3) — فحال أن يعقل فيه التسامح لأي مخلوق لم تثبت له عصمة أن يؤهل نفسه لهذه الدعوات التي جرّ بها أشياخ الطرائق وأذنابهم جنونا أنساهم كل ما في دينهم مما ينقض هذه الوظيفة الدخيلة في دين الإسلام، الغريبة عن تعاليمه المتروكة من سلف الأمة الممقوتة في دينهم المتلقي عن نبيهم.

وقد جلبت هذه البدعة السمجة (4) على الأمة عقلية هي أمس العقليات بعقل بعض الأمم اللاتينية قبل هذه العصور المتأخرة، تلك العقلية التي كانت معولا من معاول الهدم في أممهم، وداء عضالا في جسم الشعوب، وآية بينة على سفه العقل البشري.

وقد كانت الدعوات أيام السلف رضي الله عنهم مستعملة مرغبا فيها في حدود ما تلقوه عن صاحب الملة يدعو الفرد منهم لنفسه ولأخيه أو للأمة من غير أن يرى من نفسه فضلا له أو مزية أو خصوصية تجعله قمينا (5) بإفراغ الدعوات على ما يشاء إفراغا، وجديرا بالدعوات

---

(1) راجع صحيح البخاري حديث رقم 2753 ومسلم حديث 206.

(2) البخاري حديث رقم 6607.

(3) راجع البخاري حديث رقم 3208 ومسلم 2643.

(4) القبيحة.

(5) جديرا.

المستجابة التي تجعل الناس تشد إليهم الرحال من أقصى البلاد إلى أقصاها لتغترف من دعواتهم كما فعل أشياخ الطرائق قبل الآن، وفي هذه الأيام التي أصبحوا فيها يغتصبون الولاية والصلاح اغتصابا رضي الصلاح أم أبى، وسلم العلم أم أنكر.

وحاشا السلف أن يفعلوا ما لم يأذن فيه الدين، أولئك الأبرار الذين لا يعدلون عن دينهم ولا يؤثرون عن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا، ولا يخرجون المشروعات وسنن الهدى عما سمع من المشروعية بزيادة أو نقصان أو تحوير [1] ، وفي آثارهم القولية والعملية ما فيه شفاء العلل ودواء لكل داء أصيبت به الأمة من شرذمة من أبنائها وأهل مقتها. وسيمر بك إن شاء الله شيء يختصر هذا الموضوع، تفهم منه أن أشياخ الطرائق قد خالفوا صالحي الأمة من الصحابة والتابعين في تصديهم للدعوات، وانتصابهم للوسيلة التي أعطوها لأنفسهم من غير رضى الدين، فاغتر بهم الجاهل وقوي بهم المبتدع على تضليل الأمة عن هدي سلفها الصالح، وأوجدوا في الأمة حالة عقل وخلقية انقلبت بها الأمة شر انقلاب إلى أسوأ حالة جاءت الرسل باقتلاعها ومطاردتها.

ونظرة قليلة فيما آلت إليه حالة مسلمي الجزائر الدينية، تجعل المسلم المحب للإسلام الحق يغير في وجه هذه البدع التي كادت تجعل الشعب شعوبا متباينة بسبب مثل هذه الدعوات الطرقية وما إليها مما تفرقت به جماعتها، وحملها على التصديق بكل وهم وخرافة حتى باتت ملكة التفكير والنقد ضعيفة إلى حد سفه العقل، وذهاب ميزته التي هي الفصل بين الحق والباطل.

وكلنا يعلم أن هذه الدعوات التي يعطيها أشياخ الطرائق تركت في نفوس الجماهير أسوأ الآثار، وأقبح الاعتقادات المعادية للأوليات الإسلامية التي تنادي وتوحي إلى كل مسلم أن عالم الغيب وما فيه بيد خالقه، فجاءت الدعوات الطرقية ومدت يدها إليه وتصرفت فيه جميع أنواع التصرفات والمعاوضات وصيرته تحت مشيئتها.

فكم من إجارات عقدها أشياخ الطرائق عوضها دعوة من الدعوات على أمور بيد بارئها، استأثر بعلمها ولم يجعل لنا طريقا إليها. فباعت أشياخ الطرائق الأمطار وما في العالم العلوي، وتدخلوا في الأجنة في بطون الأمهات وظلام الأرحام؛ وعقدوا فيها الإجارات ونصبوا لها أسواقا وربما حددوا الأثمان لها.

---

(1) التحوير: التغير.

وكم من حرائر سقن من منازلهن كما تساق الأنعام إلى منازل شيوخ الطرائق إجارة على شفاء عليل أو رد ضالة. وكم من مسلمة تجردت من حليها وأصبحت عاطلة في العواطل عقدها أو حجلها [1] أو سوارها ذهب عوض أمنية غرت بها في أحلام وأماني. وكم من عقود أبرمت على الخلاص من الآثام والدخول إلى الجنة بضمانات أشياخ الطرائق.

وكم من عظائم سمعنا بها ارتكبها أشياخ الطرائق عادت على مبادئ الدين بالنقض والإبطال ووقفت في وجه عمل السلف الصالح.

علام تستحل أموال الأمة بهذه الخدع الشيطانية، ويتلاعب بهم هذا التلاعب الذي لم يسمع الناس بمثله قبل ظهور متصوفة الزمان ومن تقدمهم بقليل؟ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه))[2] . ((من غشنا فليس منا)) [3] ((تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها)) [4] .

من ذا الذي يحمل إيمانا كاملا بين جنبيه ويسكت عن هذه المخالفات الصريحة المعاندة لما عرف من شرعه صلى الله عليه وسلم المتلقي عنه تلقيا يقطع دابر تحريف المحرفين وانتحال المبطلين.

أين تقع هذه الدعوات البدعية الطرقية التي طاروا بها كل مطار من دعوات الأقوام المحدثين [5] كعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق وعمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وأويس القرني وسعيد بن جبير وأمثالهم؟

وهل أتى عن أحد منهم في خبر كاذب أو صادق أنهم كانوا يرون من أنفسهم التصدي للدعوات، والتأهل لإجابة الرغبات كما يرى لنفسه رهط الطرقيين الذين رأوا من أنفسهم التصدي للدعوات وإبرازها إلى الأسواق وعرضها للمزايدات العلنية.

الحق أن متصوفة الزمان ومن تقدمهم بزمن كانوا وصمة عار لا تنمحي، ونقطة سوداء في جبين الإسلام البريء من النقص، والمسلمين الذين فهموا الإسلام كما أراده صاحبه وأهل التصوف

---

(1) الحجل: الخلخال.

(2) مسلم رقم 2563 من حديث أبي هريرة.

(3) مسلم رقم 101 من حديث أبي هريرة.

(4) أحمد 4/ 126- 127 وابن ماجه من حديث العرباض بن سارية وهو حديث صحيح.

(5) المحدث: الملهم الصادق الحدس.

الحقيقي أمثال الجنيد والقشيري والمحاسبي الذين كانوا خلاصة أهل السنة في أيامهم، فانتسبت إليهم هذه النابتة المتأخرة وصيرت طريقتهم كالملة المستقلة عن ملة الإسلام. وكل أمورهم جاءت على خلاف طريقة القوم ولم يحتفظوا بغير الاسم فجاء تصوفهم خلقا جديدا مشوه الصورة، بشع المنظر، سيئ المآل.

وها أنا قاص عليك أنموذجاً من دعوات السلف رضي الله عنهم إيفاء بالوعد لتزن دعوات الطرقيين بها وكأني بك محكم دينك وعقلك على هذه الدعوات الطرقية. وأكبر العلم إنك ستبرأ من دعوات الطرائق إجابة لدينك وانتصارا لأهل التصوف الحقيقي فإن رجال الإصلاح إنما يدافعون عن أهل التصوف ويذبون [1] عن هداهم حتى لا يختلط المحق بالمبطل.

أخرج الطبري عن مدرك بن عمران قال: كتب رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فادع الله لي. فكتب إليه عمر: إني لست بنبي ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر لذنبك [2] . فمنعه عمر وأنكر عليه كما ترى، وليست إباية عمر من جهة أصل الدعاء للغير فقد فعله كما في أثر آخر، وإنما أبى عليه إجابة طلبه لفهمه من قصد الكاتب أمرا زائدا على أصل الدعاء يخرجه عن أصله كما يرشد إليه قوله: ((لست بنبي)). ويدل على ما قلنا: ما روي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك. ثم أتاه رجل آخر فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك ولا لذاك أنبي أنا [3] ؟ فهذا الأثر قد أوضح أن سعدا رضي الله عنه لما بان له أن الرجلين فهما من دعائه ما لم يؤذن له فيه شرعا من المقاصد التي تخرج المشروع عن مشروعيته؛ رد عليهما قصدهما بأشد ما يرد المنكر فرارا من أن تنقلب معالم الدين ويبلغ بهم الحال إلى ما بلغنا إليه.

وعن زيد أبي وهب أن رجلا قال لحذيفة رضي الله عنه: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك. ثم قال حذيفة: يذهب هذا إلى نسائه فيقول: استغفر لي حذيفة [4] . فتأمل كيف رأى أن إشاعة مثل هذا وقصد الناس إليه من أقبح المناكر التي يحثى في وجه صاحبها التراب، فكيف بالانتصاب والتصدي وبعث الدعاة إلى الجهلة لطلب هذه الدعوات؟

---

(1) يدافعون.

(2) انظر الاعتصام2/ 316 وعزاة للطبري في كتابه ((تهذيب الآثار)).

(3) راجع الاعتصام 2/ 317 وعزاة أيضا للطبري في تهذيب الآثار.

(4) وتتمه كما في الاعتصام 2/ 317: ((أترضين أن يجعلك مثل حذيفة؟)) وعزاة للطبري في تهيب الآثار.

وتأمل مذهب مالك رضي الله عنه في قوله بكراهة تصدي أئمة المساجد إلى إعطاء الدعوات وتصدرهم لها كيف كرهها، ونقل أصحابه في ذلك أثرا عن عمر. وليس فيما أنكره السلف وما كرهه مالك من تصدر الإمام للدعاء من المفاسد وما يجتمع في أبعد جنس مع ما حف بأدعية الطرقيين من سوء الاعتقاد وإضلال الأمة.

ولو عرضنا الطرائق على قاعدة سد الذرائع؛ لقال أهل الإسلام ببطلانها؛ لما جزت إليه من المفاسد ولو كان للطرائق دليل ثابت. فكيف بها والدلائل القائمة تنادي ببدعيتها؟! فتأملوا يا رجال العلم ويا أهل التقوى كيف أصبح المنكر معروفا يذب عنه وينصر ويعتنق ولو صاح علماء الإسلام ألف صيحة. وكيف انقلب المعروف منكرا يبدع قائله ويرمى بأشنع ما يرمى به أصحاب الأهواء، ولا تقبل منه حجة ولو جاء بالدلائل اللائحة وساق الشواهد الثابتة. وهذه الحالة تذكرنا بقوله صلى الله عليه وسلم: ((بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء)) (1) .

ملحق:

((إن كنت حاملا فلدي غلاما))

إلى (الناصر معروف):

كتب (الناصر معروف) مقالات مطولة في جريدة البلاغ (2) أكبرتها صحيفة البلاغ وأعلنت عنها قبل إذاعتها تنويها بها وأطرتها (3) بعد نشرها، وأهل البصيرة العلمية إذا ترامت إليهم لا يجدون فيها من الفوائد ما يساوي سماعها.

والمطلع على جريدة البلاغ يحكم بأن (الناصر معروف) في عالم جريدة البلاغ أمثل كاتب رمت به رياح الأقدار إلى الكتابة في هذه الجريدة. وإن كان سامحه الله لا زال يحمل ما يثقل ظهره من أخلاق وعادات كتاب تلك الجريدة الذين عرفناهم وعرفهم غيرنا بها منذ كانوا وكنا.

تلك العادات التي زهدت أهل العلم في مناقشتهم فيما يكتبون من المعتقدات والآراء، فإن من

(1) مسلم حديث رقم 145.

(2) جريدة البلاغ جريدة أسبوعية كانت تحت إشراف الطريقة العلوية(طريقة الشيخ أحمد بن عليوة المستغانمي الدرقاوية الشاذلية) وتقف في الصف المعارض للإصلاح وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(3) الإطراء: المبالغة في المدح.

خبرهم [1] خبرة بعيدة عن الجهل، يجدهم يلقون الكلام على عواهنه [2] ، ويريدون أن يخضعوا العلم إلى شهواتهم ويحكموا عليه كما شاءت لهم أهوائهم، كأنما هؤلاء القوم يفهمون أن العلم شعبة من شعب السباب أو الهجر الذي مردوا عليه، وأتقنوا أساليبه وأنفقوا علينا [3] ما زينته لهم أنفسهم ولم يراعوا فينا إلا ولاذمة، ولا حسبوا للكرام الكاتبين حسابا ما دمنا لم نترك حقنا ونؤمن بباطلهم، وصفتهم هذه صفة رواد الحاجات لا صفة أهل الديانة.

وقد أهدى إلي (الناصر معروف) كثيرا ما عنده من البهت، ورماني بما زين له شيطانه من ضعف الدين والجهل بالضروريات وقفة التثبت، ومع ذلك لا أجعل للشيطان علي سبيلا وأرميه ببعض ما هو فيه مما يقتنص من كلامه، لأني لا زلت أحاذر أن يصدق علي ولو بالمشابهة مثل قوله صلى الله عليه وسلم: ((أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر)) [4] ، ولكني أقول له ما بقوله له كل من اطلع على كتاباته من أهل العلم: إنه ليسر من أهل العلم الراسخين فيه، ولا ممن يفهم مقاصد الكلام، ولا ممن يصح أن يعتمد على كلامه. وإني أنهي [5] إليك يا (ناصر معروف) أنه لولا مسحة ظاهرية من علم وطلاوة من الشبهات على كتابتك التي أردت أن تغوي بها ضعاف العقول وغوغاء الجهلة ممن يمكن حب الهوى في قلوبهم، لأعرضت عن إجابتك كما صنعت مع ذينك [6] ... وغيرهما، فإن عادتي أن لا أدخل في نزاع مع جاهل؛ ليس في الشغب معه إلا العناء وضياع الوقت في غير فائدة. وقد افتتحت ما زعمت أنه رد على مقالتي (بدعة الطرائق في الإسلام) بجمل خطابية وإلزامات وهمية لم نأخذ منها إلا أنك رجل خيالي. وقد شعرت من نفسك بخطل [7] هذه الجمل

---

[1] جرهم.

[2] ((ألقني الكلام على عوهنه)) مثل يضرب لمن يتكلم من غير فكر ولا روية ولم يبال أخطأ أو أصاب.

[3] كذا بالأصل ولعل الصواب: عليه.

[4] البخاري 34 ومسلم 58 من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

[5] أنهى الرجل الشيء خبرا أو غيره: أوصله وأبلغه.

[6] لعله يقصد الأخوين الذين اجتمعا بهما في مدينة خنشلة.

[7] أي: بفسادها واضطرابها.

فاعتللت بأنك أردت أن تمثل إلي عاقبة أمري، وتلك شكاة ظاهر عنك عارها [1] .

ثم إنك تدعي أني أنكرت أمرا ضروريا، استدلالك عليه من قبيل السماء فوقنا والأرض تحتنا، ولما جئت تدلل عليه لم تقم ولم تقعد في علمه وإظهار الحق فيه، ولم تغن عنك دعوى الضرورة شيئا، بل أذنت لمن رأى دعواك وعجزك الفاضح أن يخاطبك بقول العرب: ((إن كنت حاملا فلدي غلاما)) [2] . وسيعلم (الناصر معروف) أنه تائه في عماية، ذاهب في غواية،لم يعلم حقا لينصره، ولا باطلا ليخذله، على رغم الدعاوي العريضة التي يدعيها، وأنه إلى الآن لم يشعر بنوع دليله الذي أراد أن يرد به علي وأن يجعله سندا للطرائق، أهو من نوع الألفاظ أم من نوع المعاني والأقيسة، بل تختط تخبط المسوس وجمع بين ما لم أنكر وما أنكرت ورد الجميع بدليل لا يتناول ما أنكرته لا بلفظه ولا بمعناه.

وقد حصر (الناصر معروف) في مقالاته ما أراد أن يرده علي في ثلاث دعاوي:

3- توقيت الأوقات للأذكار هكذا على إطلاقه الصادق بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم عين بعض الأوقات لبعض الأذكار. وإذا لم أنكره ولم أتعرض لإنكاره ولا فهمه أحد غير (الناصر معروف) ومن على هواه من كلامي، والصادق يكون زعيم من الزعماء يعين بعض الأوقات لأذكار يعطيها لأتباعه، وهذا هو الذي أنكرته وما إليه قصدت وما عجز (الناصر معروف) على التدليل عليه وما فهمه الناس من مقالتي بدعة تحديد الأذكار للأتباع.

2- تحديد الأذكار والكلام فيه كالكلام في سابقه تفصيلا واعترافا وإنكارا.

3- إعطاء العهود وطفق (الناصر معروف) يدلل على ما اعترفت به من كون رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد بعض الأوقات أو الأذكار كأن منكرا في الوجود أنكر هذا وتخيل (الناصر

---

(1) في اللسان ما نصه: الشكاة توضع موضع العيب والذم، وعير رجل عبد الله بن الزبير بأمه فقال: يا ابن ذات النطاقين، فتمثل بقول الهذلي:

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها.

أراد أن تعييره إياه بأن أمه كانت ذات النطاقين ليس بعار.

ومعنى قوله: ظاهر عنك عارها أي: ناب أراد أن هذا ليس عارا يلزق به وأنه يفتخر بذلك لأنها إنما سميت بذات النطاقين أنه كان لها نطاقان تحمل في أحدهما الزاد إلى أبيها وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وكانت تنتطق بالنطاق الآخر. وهي أسماء بنت أبي بكر.

(2) مثل يضرب للمتصلف يقول: هذا الأمر بيدي. والصلف التمدح بما ليس عندك.

معروف) أني أنكر صدور التحديد من رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأعداد أو الأوقات، وكلامي الذي يرد عليه صريح في أن رسول حدد بعض الأوقات وعين نوعا من الأذكار.

وإن كنت أيها القارئ في ريب فإني أعيد لك جملا من كلامي لترى معي أن (الناصر معروف) كان حقه أن يسمي نفسه الخاذل معروفا، فإن هذا أوفق بالمعنى الاشتقاقي وأقرب إلى الصدق.

وهاك هذه الجمل وهي قولي: ((وقد بوب رجال الصحاح للدعوات والأذكار)) إلى أن قلت: ((وقد أتوا على حالات الإنسان وتاراته اليومية والليلية وساقوا ما فيها من أحاديث وآثار)) وهذا الكلام لأداء معنى تحديد بعض الأوقات والأذكار من رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر أداء من (الناصر معروف) لنصر المعروف. ومن قرأه ثم اطلع على ما كتب المقنع بقناع (الناصر معروف) لابد من أن يقول له ما أجهلك بلغة قومك يا غلام. ولو أن (الناصر معروف) وضع عنه الهوى الذي حمله على هذا الفهم المعكوس، لعلم أن الإنكار الذي يصرح به كلامي إنما هو موجه إلى رؤساء الطرائق الذين اخترعوا لنا طرائق تحدد الأذكار، اختراعا لا عهد للإسلام به في عهد التشريع. وكلامي من أوله إلى آخره ينادي بهذا المعنى، والناصر معروف لم يستطع أن يأتي بما يدل على جواز تحديد الأذكار والأوقات من رؤساء الطرائق، بل كان من أعجز الناس عن مس ما كتبت ونقض ما أبرمت، وما استطاع أن يحوم حول التدليل على هذه الدعوى ولا أن يسوق إليها شاهدا واحدا يشهد بصحة تحديد الأذكار تحديدا مخترعا، وإنما ساق كلمة ربما يظن أنها تصلح للتدليل على مدعاه وسيعلم منقلبه فيها.

وإليك أيها القارئ هذه الكلمة، التي أراد (الناصر معروف) أن يرد بها على مقالاتي وأن تقوم حجة على دعواه: جواز تحديد الأذكار والأوقات لأتباع الطرقيين.

قال هكذا بالحرف الواحد بعد أن أورد جملة من الأحاديث ليس فيها إذن لأحد أن يخترع الأذكار المحدودة والأوقات المعينة، وإنما أثبت هذه الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدد بعض الأوقات لبعض الأذكار.

قال: ((وهل لا يؤخذ من ذلك وجوب المحافظة من جهة تعميرها (كذا) بأنواع القربات وأحرى الذكر المنصوص عليه (كذا) وهل ترى أن من فهم ذلك من الحديث (كذا) فألزم نفسه وأتباعه بشيء من الأذكار والدعوات الواردة (كذا) يعد مبتدعا)).

وفي هذه الكلمة ضروب من التلبيس والأعاجيب لمن تأملها فإن (الناصر معروف) ألبس فيها إلباسا اشتبك به الباطل بالباطل، و(الناصر معروف) يريد من الباطلين حقا، فإنه يدعي أن الطرقيين يذكرون الأذكار المنصوص عليها، ويتبعون الوارد منها ويلزمون أنفسهم وأتباعهم بها. وأنا أتحداه وأتحدى كل طرقي في الجزائر أن يدلني على طريقة تذكر الأذكار الواردة وترشد إليها من غير تغيير ولا تبديل. ولقد كنت يا (ناصر معروف) في كتابتك على حد المثل العربي: (أرني غياً أزد فيه) [1] .

أبهذه الجملة المختلفة التي ظاهرها رحمة وباطنها عذاب؛ تريد أن تستدل على اختراع تحديد الأوقات والأذكار الطرقية المزوقة في الأنظار وهي كما يراها الرائي لا تجتمع مع كلام والدعوى المتنازع فيها في عقل أحد غير كاتبهما ومن شاركه في الهوى؛ وها أنا أرددها على جميع المحامل التي تصلح أن تحمل عليها، وإن كانت بعيدة ثم أعرضها على كير [2] العلم لينفي خبثها ويظهر زيفها وتلبيس صاحبها على قراء صحيفته.

إن الأحاديث التي ملأت بها مقالاتك يا (ناصر معروف) لا تدل لغة على أكثر من ثبوت بعض الأوقات أو الأذكار محددة حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وليس فيها ما يدل على الإذن منه لأحد في التحديد في غير ما حدده. وعمل بها سلف الأمة بعده ولم يفهموا منها إذنا لهم بالتحديد لغيرهم ليكون تحديدهم كالتحديد النبوي. ونقلها أئمة الحديث كما نقلوا أحاديث الأحكام وأحاديث الأخلاق فلم يفهموا منها أن لهم أن يحددوا فيما لم يحدد فيه صاحب الملة. فوظيفتهم كالسلف وظيفة عامل أو مبلغ لا وظيفة مخترع تحديدا أو توقيتا زيادة على المحدد من صاحب الحنيف. فشأن الأذكار المحددة بالعدد أو الوقت شأن ركعتي الفجر. فكما أننا لا نخترع ركعتي فجر ولا نزيد على صفتها ولا نحدث لها طريقة تعطي ركعتي الفجر، كذلك الأذكار المحددة وقتا أو عددا. فبان بهذا أن اللغة وعمل السلف ليس واحد منها يدل أو يؤخذ منه تحديد الأوقات أو الأعداد. فقول (الناصر معروف) وهل لا يؤخذ... إلخ مؤاخذ عليه لغة وعملا لأنه استدل على جواز اختراع تحديد الأوقات والأعداد للغير بكون الشريعة فيها تحديد الأوقات والأعداد. وعلى هذه اللغة التي جاءنا بها (الناصر معروف) للطرقيين أن

---

[1] مثل للرجل يشتهي الشر.

[2] الكير في الأصل جهاز من جلد أو غيره يستخدمه الحداد للنفخ في النار ليشعلها. وفي الحديث الشريف: ((المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها)).

يحددوا صلوات أخر وزكوات أخر لأن دليل (الناصر معروف) ينتجه.

هذا ما أمكنني أن أوجه به هذا الكلام العليل لغة وإني كلما حاولت أن يستقيم كلام (الناصر معروف) في هذا المعنى ويدل عليه لغة أبى علي والله، لكأنما(الناصر معروف) خلق لقلب الحجج وإفساد اللغات.

هذا هو المقصد اللغوي والاحتمال اللفظي الذي يحتمله كلام (الناصر معروف) ويمكن أن يقصده(الناصر معروف) ويجعله دليلا على اختراع تحديد الأوقات والأذكار لأتباع الطرقيين، وقد أريناك أنه لا يدل على شهوة (الناصر معروف).

وإن أراد (الناصرمعروف) بقوله: (وهل لا يؤخذ... إلخ) أن وجود بعض الأذكار محددة الوقت أو العدد، يجوز لرؤساء الطرائق أن يحددوا قياسا على التحديد النبوي هذه الإرادة هي الظاهرة من كلامه إن كان له معنى (إن أراد هذا)، فإننا نقول له إن قياسك اختراع تحديد الأوقات والأعداد الطرقية على ما حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي يلعنه علم القياس ويبرأ منه القائسون إلى الله.

وها أنا أسوق إلى أهل العلم وإلى (الناصر معروف) نتفة أصولية تنير الموضوع وتظهر أن (الناصر معروف) سار في قياسه على غير هدى.

إن القياس من أركانه: العفة الجامعة بين المقيس(وهو التحديد المخترع عندنا في هذا الموضوع) والمقيس عليه (وهو التحديد النبوبي). وهذه العفة يجب أن تكون منصوصا عليها أو مستخرجة بمسلك من مسالك العلل المعروفة في علم الأصول. فالعلة في علم الأصول هي وجه الشبه عند علماء القسمان العربي، فكما يمتنع التشبيه لغة من غير وجه شبه، كذلك يمتنع القياس من غير عفة. والأذكار المحددة وقتا أو عددا ليس لأحد في الدنيا أن يقيس عليها، لعدم ظهور العلة بمظهرها المعتبر. ومن أجل هذا ذهب السادة الحنفية، وهم أعلام في القياس إلى امتناع دخول القياس في المقدرات وما شابهها لجزمهم بعدم إمكان ظهور العفة. ونحن [1] والشافعية وإن خالفناهم في الدعوى الإجمالية وجوزنا دخول القياس في المقدرات فإننا لا نجوز قياسا لم تظهر عفته، فالخلاف بيننا وبينهم في إمكان استخراج العلة فيها وعدم إمكانها، فنحن نجوز وهم يأبون. والأذكار المحددة شرعا وقتا أو عددا، إذا جئت تتفهم العلة فيها وفيما رتب عليها من

---

[1] المالكية.

المزايا كانت السماء أقرب إليك مسلكا من فهم العفة فيها. ووجه امتناع إدراك العفة أن الشارع إذا شرع عبادة مطلقة الوقت أو العدد رتب على فعلها جزاء يحصل لفاعله بحصول الفعل المطلوب في أي زمان لم ينه الشرع عن إيتاء العبادة فيه. فإن جاء دليل آخر من رسول الله يقتضي التقييد بالوقت أو العدد، رتب على المقيد بالوقت أو العدد حكما آخرا ومزية أخرى لا توجد مع الفعل المطلق عن التقييد الزمني أو العددي. فإذا عرضت الوقت أو العدد على المزية أو الحكم الفذين يختص بهما المقيد لم تجد مناسبة مدركة لنا نجعلها عفة لإلحاق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه، والقياس لا يكون إلا بعفة، والعلة في المقدر الوقتي أو العددي غير مفهومة لنا.

ولا بد من ضرب مثال لهذه القاعدة الأصولية تفضح جهالات الجاهلين الذين ظهروا فينا لطرد العلم من الأمة الجزائرية:

صوم النفل طلبه منا الشارع طلالقآ عن الوقت المعين ورتب عليه ثوابا يحصل للصائمين في كل وقت غير منهتي عنه. ثم جاء صوم يوم عرفة مقيدا بالتاسع من ذي الحجة، ورتب عنه الشرع مزية لا توجد مع الصوم في غير يوم عرفة، تلك المزية هي تكفير سنة ماضية وسنة مقبلة [1] .

فالمناسبة بين تكفير ذنوب سنتين ماضيه وسنة مقبله وبين اليوم التاسع من ذي الحجة غير مفهومة لنا. فمن حدثته نفسه بالقياس في المحدد فقد أراد أن يعبث بالملة الإسلامية. ولعل (الناصر معروف) يطلب مني مثالا يخص الأذكار وجري فيها وتنطبق عليها القاعدة المارة، فإن طلب هذا مني أقدم له ما يلقمه [2] حجرا.

الأذكار التي هي محور النزاع جاء طلبها مطلقا عن الوقت والعدد ورتب الشارع على فعلها ثوابا وأعطاها حكما ندبيا خفيفا يحصل الثواب بفعلها في أي وقت ويؤدى المندوب بأي عدد، ثم جاءت أذكارا شرعية مقيدة بالوقت أو العدد ورتب الشارع على هذه المقيدات مزايا وخواص لا توجد في المطلقات ، مثلا سبحان الله، والحمد لله ، والله أكبر دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين جاءت مقيدة بهذا العدد والوقت ورتب عليها الشارع مزية لا توجد مع الأذكار المطلقة عن الوقت والعدد حتى إنه جعلها تفوق غيرها من الأذكار وصاحبها لا يلحقه إلا من فعل فعله

---

(1) انظر صحيح مسلم حديث رقم 1162.

(2) ألقمه حجرا: أسكته.

[1] . فهذا الذكر المعين والعدد المعين والوقت المعين لم تظهر المناسبة بينهما وبين هذا الفضل العظيم والثواب الجزيل المرتب عن المذكورات، فمن حام حول قياس كقياسك يا (ناصر معروف) كان قمينا بأن نتلوا عليه(**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ)** [2] .

مثالا آخر في الأذكار، الذكر الذي تضمنه الحديث الملقب بسيد الاستغفار المخرج عند البخاري عن شداد بن أوس، رتب عليه الشارع مزية وخواص لا توجد مع غيره من أنواع الاستغفار فإنه رتب عليه أن من قاله حين يمسي فمات دخل الجنة أو كان من أهل الجنة [3] .

فإذا جئت لتفهم العفة في تعيين تلك الألفاظ والأوقات من بين الألفاظ الذكرية والأوقات من بين الألفاظ الذكرية والأوقات الليلية والنهارية؛ لم تمتد إلى عفة مناسبة لتحمل على هذا الذكر المقيد بهذا الوقت أذكارا أخر في أوقات أخر.

فلو جوزنا قياس (الناصر معروف) ذاك القياس الطرقي لا الأصولي الديني، وأبحنا لمشائخ الطرائق أن يحددوا للناس الأذكار والأوقات، فما هي المزايا التي يقتضيها تحديدهم؟.

فإن قال الطرقيون: مزايا وخصائص يعلمها الطرقيون.

قلنا لهم: أعظمتم الفرية فإن علم المزايا والخواص فوق يد الطرقيين وعدم تحديد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأذكار الطرقية يرد عليكم، فإنه يمتنع عقلا وشرعا أن تدركوا شيئا لم يدركه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن قلتم: نحدد تحديدا مخترعا مبتدعا لا لمزية شرعية معتبرة.

قلنا لهم: حددوا في غير حفظ الله وطاعته، واعلموا أنكم بتحديدكم اعتديتم على الدين بزيادة لم يأذن فيها وأفسدتم ما فيه من حكم عالية مودعة في كل فضيلة من فضائل هذا الدين الذي ختم الله به الأديان، وجمع فيه ما تشتت من الفضائل والمزايا في بقية الملل والنحل.

---

(1) انظر صحيح مسلم4/ 2071.

(2) [الإسراء: 36].

(3) عن شداد بن أوس أن رسول اله صلى الله عليه وسلم قال: سيد الاستغفار أن يقول العبد: ((اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو مؤمن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)).(البخاري 6306 والترمذي 3390 والنسائي 8/ 279).

وهذه نتفة صغيرة أصولية قدمناها لأهل العلم لا لأهل الجهل، ليدركوا بها قيمة (الناصر معروف)- وقيمة كل امرئ ما يحسن- العلمية. وظني أن ما بناه (الناصر معروف) من الأوهام في مقالاته قد تداعى بهذه المعاول التي نزلنا بها تلك الخيالات التي يظنها، لما وسمتها جريدة البلاغ، بأنها حكمة وفصل خطاب كأن (الناصر معروف) نبي الله داود عليه السلام. هان أراد الهادي المهتدي أن يرى سخافات (الناصر معروف) فليراجع مقاله الثالث الذي خصصه لإعطاء العهود فإنه يدعي أن تبليغ رسول الله،صلى الله عليه وسلم للأذكار إعطاء العهود الطرقية ولست أدري لم لم يدع (الناصر معروف) أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) إعطاء للعهود في فرائض الصلاة وسننها وما يلحقها. وقوله: ((خذوا عني مناسككم)) إعطاء العهود في مناسك الحج. ولولا ما أصبنا به من نكبات الجهل في أمتنا الجزائرية ما أقمت وزنا لكلام جريدة البلاغ وكتابها، ولو جمعوا جموعهم في صعيد واحد ما كونوا عالما من خصومهم. وفي أقلام أصحاب جريدة البلاغ عبرة علمية عظيمة، تلك العبرة أن قوانين العلم من عهد أرسطاطاليس وأفلاطون أن الدعوى المتنازع فيها لا تثبت إلا بأمرين:

الأول: إبطال دليل الخصم.

والثاني: سلامة دليل المبطل من القدح.

هكذا قال العلم قبل ظهور (الناصر معروف)

وأمثاله. أما الآن فقد تجددت مناهج العلم كما تجددت أساليب التصوف وصار (الناصر معروف) لا يبطل أدلة خصمه ولا يقيم دليلاً على دعواه ومع هذه المهزلة يزعم أنه يرد علي. ولعلك أيها القارئ العالم بدلالة الألفاظ فهمت سر قولي آنفا والناصر معروف يريد من الباطلين حقا.

وقبل أن أضع القلم ألقي كلمة في أذن (الناصر معروف) وجماعته هذه الكلمة هي أني أنصح لهم بأن يريحوا أنفسهم ولا يكلفونا بالرد عليهم مرة أخرى فإن أعادوا إلى تكثير الجهل في هذه الأمة التي لعبوا فيها لعبا لم يحك التاريخ مثله فإننا أقوياء في الحق نسير على مشكاة الشريعة المعصومة لا نعجز عن الدفاع عن حومة السنة.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة